المستوي: السنة أولى ماستر **المقياس:** الحضارة الليبية- البونية

السنة الجامعية: 2023 / 2024 السداسي السابع **أستاذ المقياس:** محفوظ خالد

محاضرات الأستاذ خالد محفوظ

المحاضرة رقم 02: مصادر دراسة الحضارة الليبية البونية

أغلب الأخبار التي وصلتنا عن الليبيين القدماء كانت من خلال قسمين من المصادر التاريخية والأثرية: ولعل أقدمها المصادر المصرية القديمة وصلتنا الكثير من المعلومات حول الليبيين القدماء من خلال المصادر الأثرية والتاريخية المصرية القديمة التي تمتد منذ عصر ما قبل الأسرات حتى مجيئ الإغريق إلى منطقة الجبل الأخضر وما حوله (الغرب الليبي حاليا) خلال الربع الأخير من القرن السابع قبل الميلاد ، ثم تليها المصادر الإغريقية والفينيقية–القرطاجية –رغم قلتها– ثم الرومانية والبيزنطية ثم المصادر العربية–الإسلامية.

تجدر الإشارة هنا الى أن جل هذه المصادر كُتبت من جانب واحد وهو الجانب غير الليبي وهى بذلك لا تخلو من مبالغة وتحيز في أغلب المواقف وخصوصا لما يكون العنصر الليبي (المغاربي) في عداء مع هذه الأقوام.

I– المصادر المادية (الأثرية):

لعبت الآثار ولا تزال البديل للنصوص الأدبية في الكثير من الحالات، حيث تصحح الأخطاء والتحريفات والمغالطات التاريخية، كما تملأ الفراغات التي لم تتناولها المصادر الكتابية (الأدبية)، هذه المصادر الأثرية أصناف كثيرة نحاول أن نعرض تلك التي ساعدت المؤرخين في كتابة التاريخ المغاربي القديم كما يلي:

I–1–1: المصادر المصرية القديمة:

جدير التنويه في بداية هذا العنصر بأن المدنية المصرية القديمة في نواتها الأولى، ونقصد هنا فترات نهاية العصر الحجري الحديث (النيوليتي) وبداية فجر التاريخ (7000ق.م ؟– 5000ق.م) قد تكونت على ضفاف نهر النيل الشرقية والغربية، وذلك بعد تفاعل بين تجمعات سكانية وصلت الى المنطقة على شكل هجرات متتالية والتي كانت خليط من الجنس السامي الأسيوي والحامي الإفريقي الذي ينتمي إليه الليبيون.

قسّمَ المختصون المصادر المصرية القديمة حسب مراحل تاريخ منطقة وادي النيل في العصور القديمة إلى عدة أقسام كما يلي:

أ– وثائق ما قبل الأسرات: تعود في الأساس إلى منتصف الألفية الرابعة قبل الميلاد (3500 ق.م)، ومن أهمها نذكر(مقبض سكين جبل العرق، لوحة الصيد أو ما يعرف بلوحة الأُسود،لوحة التحنو التي عُثر عليها بأبيدوس،لوحة التوحيد...)، حيث تُظهر الليبيون بأوصافهم المورفولوجية الخاصة وهندامهم المميز لليبيين القدامى ونشاطاتهم المسلحة (الصيد –الحروب) والملاحظ على هذه المصادر أنها عبارة على مناظر عامة منقوشة لا تصحبها نصوص كتابية ، لأن الكتابة الهيروغليفية في ذلك الوقت لم تكتمل عناصرها بعد ، ويلاحظ على هذه التصورات شبهها بالرسوم الصخرية الموجودة في الصحراء الكبرى العائدة ألى عصور ما قبل التاريخ.

ب– وثائق الدولة القديمة (2900–2280ق.م.):

في هذه الفترة بدأت أخبار ليبيا (البلاد المغاربية) وسكانها تبرز بكثرة وبامتياز وخصوصا قبائل التمحو والتحنو (أنظر الخريطة رقم 01)، ومن أهم هذه الوثائق نذكر: (نص حجر بالرمو للملك (الفرعون) سنفرو، الذي أرخ لصراعه ضد التحنو، كذلك نصوص الملك ساحورع من الأسرة الخامسة على جدران معبد الملك سحورع التي أمدتنا بمعلومات وافية عن الكثير من مواصفات التحنو الجسمانية والثقافية، نصوص أونى حاكم الجنوب ، حيث ذكر أشار إلى قبائل التمحو خلال الأسرة السادسة ،كذلك نصوص (تقارير) حرخوف قائد القوافل في الجنوب (بلاد النوبة) الذي أشار الى أقاليم التمحو، والملا حظ على هذه الوثائق بأنها أصبحت تدون عن طريق الكتابة الهيروغليفية ففي بعض الأحيان تكون النصوص مختصرة وفي أحيان أخرى تكون مفصلة إلى أبعد الحدود ، إذ منحتنا أخبار مهمة عن الليبيين في المجالات الاقتصادية والاجتماعية الدالة على تطور وازدهار، بالإضافة إلى حروب المصريين مع التحنو خصوصا.

محاضرات الأستاذ خالد محفوظ

الخريطة رقم (01):

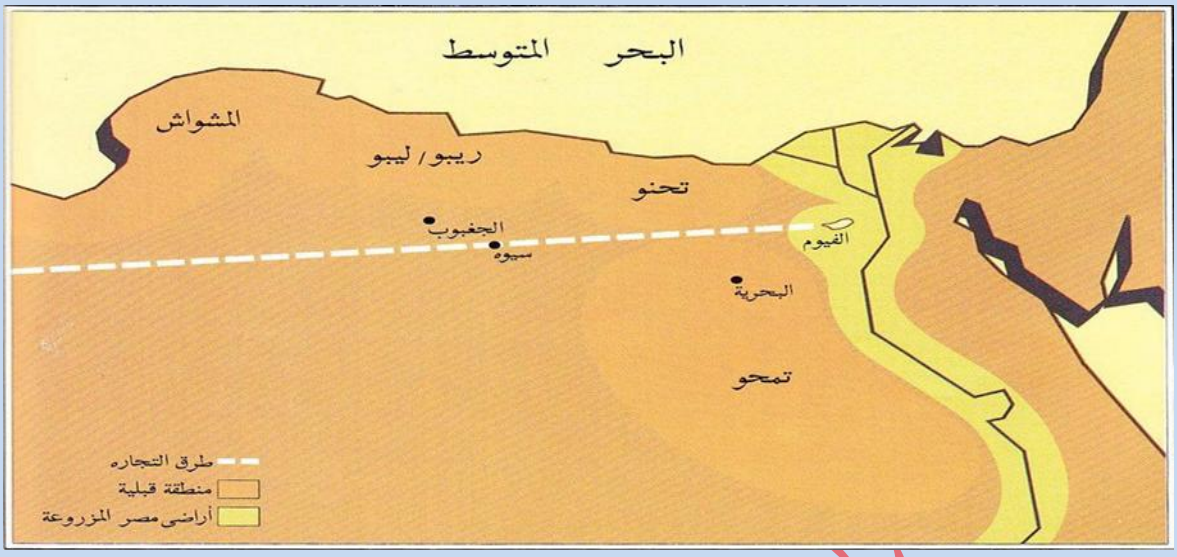

خريطة انتشار و توزيع أهم القبائل الليبية التي تعاملت مع المصريين القدامى

ت– وثائق الدولة الوسطى (2060 –1785 ق.م)

نذكر منها حكاية سنوهى التي تروي انتصارات الفرعون أمنحوتب الأول (1991– 1961 ق.م) على التمحو، ليلتحق الليبيون بالجيش الفرعوني خلال حكم الفرعون بيبي الثاني (Pépi II) ضد بدو أسيا، يُضاف إلى ذلك مخلفات المجموعة السكانية التي يطلق عليها المجموعة "ج"، والتي سلطت الضوء عن العلاقات التي كانت بين الليبيين وجنوب منطقة وادي النيل ، والملاحظ على هذه الفترة أن الوثائق التي تتحدث عن الليبيين خلال هذه الدولة لم تكن كثيرة والتي شرابها بعض الغموض، الأمر الذي يوحي إلى فترة حروب بين الطرفين وأن كفة القوة كانت لصالح الليبيين.

ث– وثائق الدولة الحديثة (1580 –1085 ق.م):

نذكر منها وثائق مقابر طيبة في عهد الملكة حتشبسوت والملك تحتمس الثالث وعلاقتهما بالقبائل الليبية في الواحات البحرية، رسومات معبد الكرنك التي تروي الهجمات الخطيرة لقبائل التحنو على مصر،نقوش مسلات رعمسيس الثاني التي اكتشفت في مدينة تانيس التي توثق حروب طاحنة، بل وجود فرق ليبية في الجيش الفرعوني، نقوش معبد الكرنك وعمود القاهرة ولوحة اتريب وأنشودة النصر ؛ هذه الوثائق تحدثت انتصارات مرنبتاح (الاسرة التاسعة عشر) ضد تحالف الليبو والقهق والمشوش وشعوب البحر التي تمت بقيادة مير–نداد الليبي، بردية هاريس الكبرى اتلي روت الرد القوي لقبائل الليبو ضد الفرعون الذي حاول التدخل في الشؤون الداخلية لهم، نقوش ولوحات معبد رعمسيس الثالث الجنائزي بمدينة هابو

محاضرات الأستاذ خالد محفوظ

الواقعة في طيبة الغربية التي تحدثت عن قبائل المشواش (المشوش) التي تنتمي إليها عائلة شيشنق، التي هجرت بصفة جماعية نحو الجزء الغربي للدلتا، حيث اصطحبوا معهم أسرهم وحيواناتهم، إذ كانوا قوة سياسية وخصوصا بعد التحامهم مع قبائل الليبو (الريبو)، والملاحظ في وثاق ا لدولة الحديثة أنها قدمت لنا أكبر قدر من الوثائق التي تتمثل في النقوش والصور، والتي من خلالها تعرفنا على مجموعات كثيرة من الليبيين قبل هيرودوت أي خلال القرنين الثالث عشر والثاني عشر ق.م.

تجدر الإشارة هنا إلى أن الكثير من الأخبار التي وصلتنا من المصادر المصرية لم تخلوا من المبالغة احتقار الطرف الليبي وخصوصا لما كانوا في حروب ضدهم، إذ يرى المختصون في بعض هذه الروايات أنها دعاية فرعونية كون الكثير من أحداثها لم تكن زمنية.

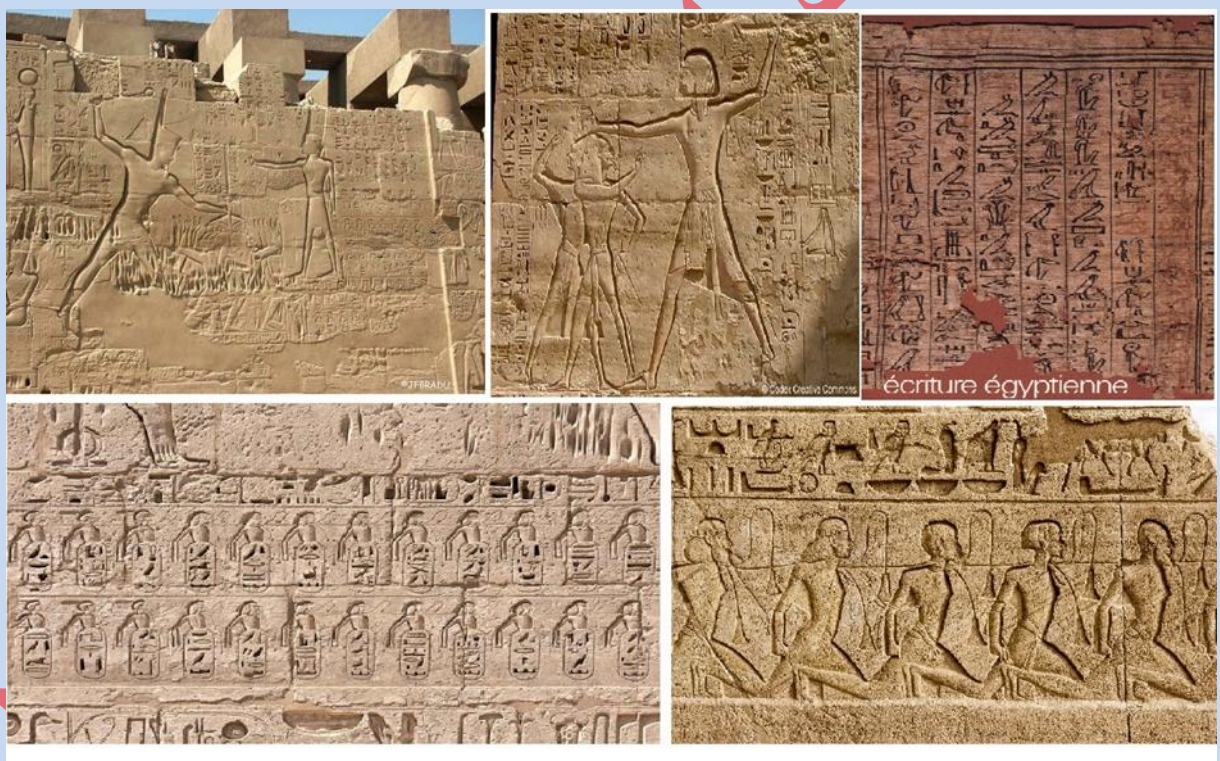

نماذج من النصوص الفرعونية التي تؤرخ لشعوب البلاد المغاربية (ليبيا القديمة)

I–2– الرسومات والنقوش الصخرية:

ساعدت المهتمين بالتاريخ المغاربي للعودة إلى فترات ما قبل التاريخ وفجر التاريخ، وهي كثيرة في البلاد المغاربية، تنتشر من الجنوب إلى الداخل وحتى في المناطق الجبلية والساحلية، حيث جسد فيها إنسان تلك المناطق الحركة اليومية التي كانت محيطة به، بالإضافة إلى اهتماماته الفكرية، والمرتبطة أساسا بالحياة الاقتصادية كاستئناس الحيوانات وممارسة الزراعة وصناعة الفخار والعقائدية ، إذ شكلت هذه الرسومات والنقوش الصخرية إرثا متميزا خلَّفه الإنسان النيوليتي وفجر التاريخ في المنطقة المغاربية وخصوصا في منطقة الصحراء الوسطى، باعتبارها شكلت نقطة تحول حضاري وهمزة وصل بين مختلف المناطق من الجنوب نحو الشمال.

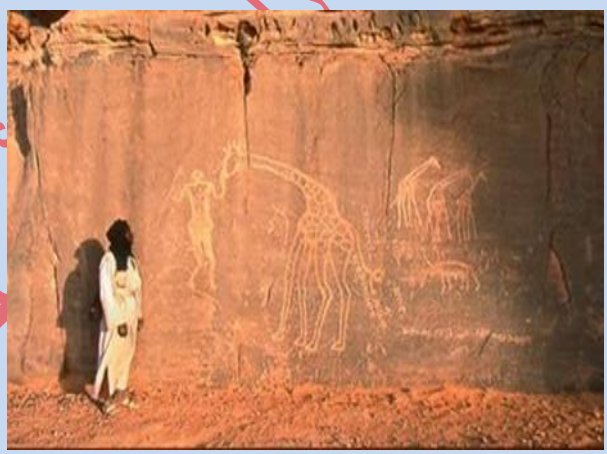

رسوم صخرية من الجنوب الجزائري

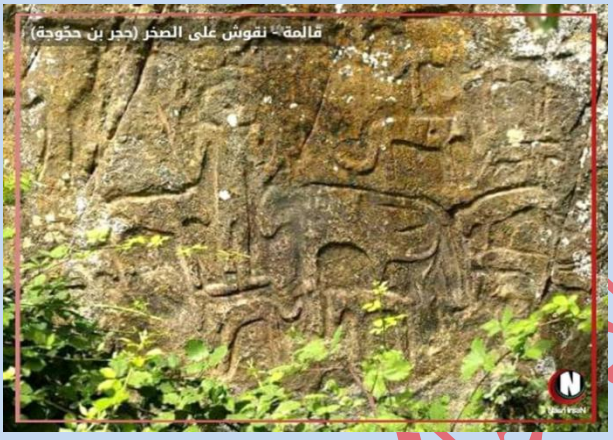

نقوش صخرية من شمال الجزائر (قالمة)

I–3– العمارة الدينية (المعابد والأضرحة):

تكمن أهميتها في أنها سلمت من التدمير والطمس بسبب بعددها عن التجمعات(المدن) السكانية، حيث أمدتنا بمعلومات مهما عن الحيات الاجتماعية والثقافية للمغاربة في فترات ماقبل التاريخ وفجر التاريخ متمثلة في الدولمن، البازينات، الحوانيت... وخلال الممالك المستقلة القبور الملكية كأضرحة: المدراسن (باتنة)، سيڤ(عين تيموشنت)، الصومعة (الخروب)، الضريح الموريطاني (شرشال)، ثو ڤ"دو ڤ" (تونس)، صبراطة (ليبيا)...، بالاضافة إلى ما وجد بداخلها والمرتبط بالعالم العقائدي الفكري.

محاضرات الأستاذ خالد محفوظ

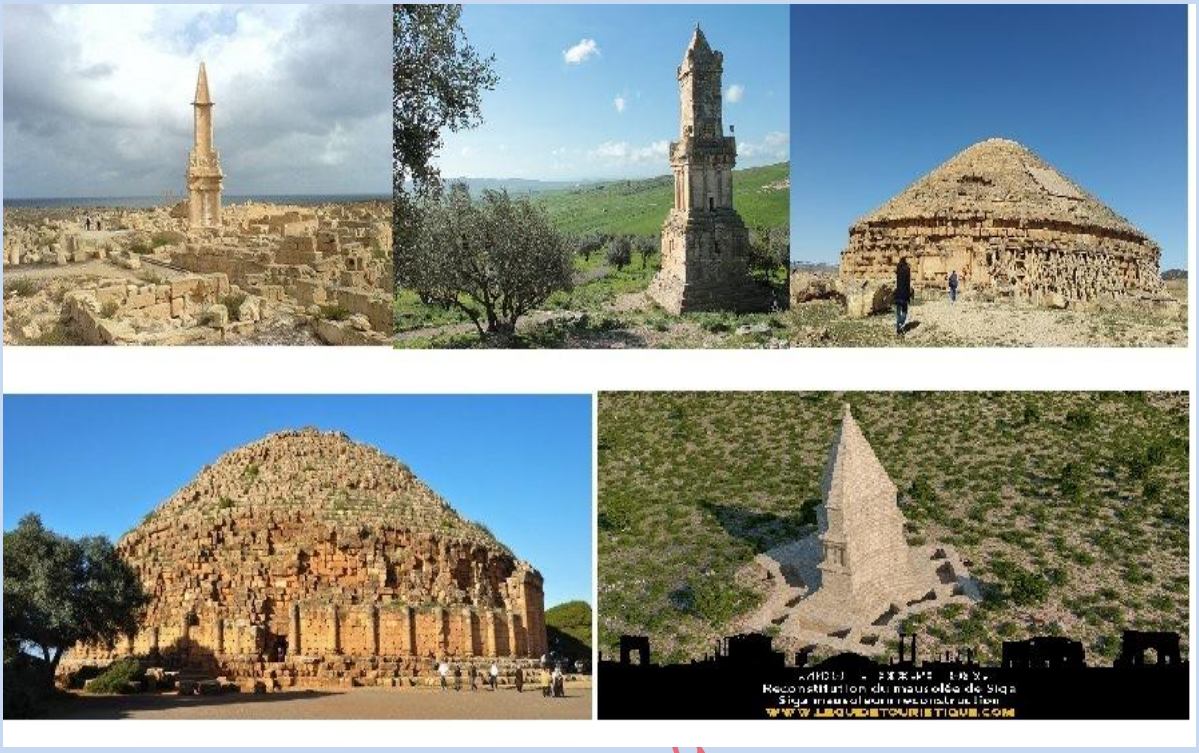

نماذج من الأضرحة الملكية النوميدية

الأستاذ خالد محفوظ

I–4– العمران والكتابات الأثرية (النقائش):

هذين العنصرين مهمين في الكتابة التاريخية، إذ يقدمان معلومات كثيرة وقيمة ارتبطت بالحياة العامة التي كانت قائمة، فالعمران التحصيني يعطينا الحالة الأمنية التي كانت قائمة والعكس صحيح، والانتشار الواسع للعمران وتنوعه يدل على التطور الحضاري، كما يعطينا معلومات اجتماعية وثقافية من خلال مكونات ومحتوى المنزل، واقتصادية من خلال المؤسسات الاقتصادية كالورشات والمطاحن والمعاصر...، والمؤسسات السياسية الإدارية، نفس الشيء بالنسبة للنقائش التي تختلف حسب محتواها من سياسية إلى اجتماعية وثقافية–دينية، وبالتالي وثقت بالنص لجوانب من الحياة العامة التي كانت قائمة في وقتها.

I–5– المسكوكات والفخار:

لعبت المسكوكات (العملة) دورا مهما في كتابة التاريخ المغاربي القديم، فكانت مرآة عاكسة للحياة العامة بجوانبها السياسية والاقتصادية والاجتماعية من خلال مضامين وجهيها، حتى أصبح لها علم يهتم بها وهو علم المسكوكات، حيث يدرس النقود في مظهرها الأصلي وقيمتها المادية ورموزها المختلفة مع تطورها في التاريخ، ويمثل لعالم الآثار والتاريخ مصدرا أساسيا لتأكيد وتصحيح المظاهر التاريخية، حيث صححت

تواريخ وأسماء شخصيات وردت خاطئة في المصادر الكتابية، كذلك طبيعة المعدن الذي صكت به ووزنه الأمور الدالة عن وضعية اقتصادية وعسكرية معينة...، وكذلك بالنسبة للفخار المرتبط بدرجة كبيرة بأخبار اقتصادية كون هذه الوسيلة استعملت كثيرا في الحياة الاقتصادية (زراعة– صناعة– تجارة)، حيث ارتبط بدرجة استقرار الإنسان وتطوره زراعيا وإنتاجيا وكذا تخزين الفائض، فوفرته وجودته كانت مؤشر رخاء وتطور والعكس صحيح، كما أمدنا الفخار معلومات مهمة عن الحياة الاجتماعية والثقافية من خلال اختلاف نوعيته الدالة على تركيبة اجتماعية معينة، أما المعلومات الثقافية من خلال أشكاله ومحتواه التصوري ووظائفه.

I–6– الفسيفساء:

تعتبر الفسيفساء من الفنون التصويرية التي اهتمت بتا الشعوب القديمة وخصوصا خلال العصر الروماني، فكانت تجسيد لتصورات فكرية وذوق فني كما كانت مظهرا للرقي والتميز الاجتماعي، وبدورها تنقسم إلى حضرية وريفية، فكان محتواها يترجم حالة اجتماعية معينة، حيث صورت الوسط الطبيعي والنشاط اليومي في المجالات الحيوية، كما أن تقنيتها والمواد المستعملة تعبر عن حالة اقتصادية مزدهرة أو العكس، وهنا نشير إلى أن البلاد المغاربية عرفت رواج كبير لصناعة الفسيفساء خلال العصر الروماني، حتى صنعت تقنية خاصة لها عُرفت ب"فسيفساء المدرسة الإفريقية".

II – المصادر الكلاسيكية (الأدبية):

II–1– المصادر الإغريقية واللاتينية:

هي تلك المصادر التي تمتد منذ مجيء الإغريق إلى البلاد المغاربية واستقرارهم في قورينائيا، وتمتد إلى غاية مجيء الإسلام إلى البلاد المغاربية منتصف القرن السابع الميلادي ، ونستثني في هذا المقام الأقلام البيزنطية والعربية كونها نقلت عن المصادر الإغريق والرومانية بدرجة كبيرة، وقد تنوعت هذه المصادر ما بين مؤلفات كتاب ومؤرخين وجغرافيين وفلاسفة، إلا أنه ننبه إلى أهمية الاطلاع على هذه المصادر الناقلة لأنها أثارت بعض الإشكاليات المهمة، كما أن هذه المصادر الغربية لم تخلوا من المغالطات والتأويلات التي كانت

محاضرات الأستاذ خالد محفوظ

تخدمهم، وعلى هذه الأخطاء والمغالطات التاريخية والفراغات بنت بعض الأقلام الغربية الأولى ما عُرف بالمدرسة الكولونيالية*ومن المصادر المهمة التي تناولت التاريخ المغاربي القديم نذكر:

أ– هوميروس(Homéros)(القرن الثامن قبل الميلاد) ومؤلفه الإلياذة والأوديسة:

هو شاعر ملحمي، عاش حسب الدراسات التاريخية خلال القرن الثامن قبل الميلاد أشتهر بمؤلف" الإلياذة والأوديسة "، وهي عبارة عن شعر ملحمي احتوي على حوالي (15337) بيت يُمجد فيه تاريخ الإغريق، وتكمن أهميته في التأريخ للبلاد المغاربية من خلال الجزء الثاني – أي الأوديسة– أين ذكر ليبيا الموطن وسكانها من خلال ثرائها الطبيعي والبشري النشيط ثقافيا.

ب– هيرودوت (484ق.م؟ –424 ق.م.؟) ومؤلفه التواريخ:

يُعرف الكتاب الرابع من هذا المصنف باسم الكتاب الليبي وقد تحدث في هذا الكتاب عن القبائل الليبية المتواجدة على المنطقة الممتدة من غرب منطقة وادي النيل حتى سواحل المحيط الأطلسي ، وتكمن أهميته التاريخية في الوصف الدقيق والمنهجي للمجتمعات القديمة بصفة عامة والليبية بصفة خاصة، الظاهر في تطرقه للتفاصيل الدقيقة مع تبيان تأثيرها على الثقافات الأجنبية، لذلك أخذ شهرة "أب التاريخ"، إذ قدما لنا خريطة مهمة لتوزيع أهم القبائل الليبية الساحلية والداخلية **(أنظر الخريطة التالية)**

*يطلق عليها بالمدرسة التاريخية الاستعمارية؛ مدرسة عملت على إفراغ التاريخ القومي من محتواه وبطريقة علمية ممنهجة، وكان على رأسها أقطاب الاستشراف الأوروبي ورؤساء البعثات التبشيرية وضباط الاحتلال، حيث كتبوا التاريخ بوجهات نظرهم التي بررت المد الاستعماري. للمزيد راجع، هلال عبد السلام، المدرسة التاريخية الاستعمارية الفرنسية (1830–1962م)، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، ع.08 ، جامعة المسيلة – 2015، ص ص– 22–36. أنظر أيضا:حارش محمد الهادي،واقع الدراسات التاريخية والأثرية في الجزائر، مجلة دراسات، كلية ع.ا.ا.، العدد 17، جامعة الجزائر 2، 2011، ص ص– 267–282.

ت– بوليبيوس (Polybius) (205 ق.م؟– 124ق.م) ومؤلفه التواريخ:

مؤرخ إغريقي الأصل، أرَّخ للرومان و وُصف تاريخه ب"العالمي"، حيث اتسم بالمنهجية في اختيار المواضيع وطرحها، إذ اهتم كثيرا بالصراعات العسكرية التي عايشها متمثلة في الحروب البونيقية، أمدنا معلومات كثيرة وقيمة عن الشعوب المتوسطية في الشق الغربي للبحر المتوسط، وخصوصا الأفارقة من ليبيين، غرامنت، جيتول، نوميد، مور... وذلك خلال الفترة الممتدة من ثورة الجنود المأجورين والمعروفة بثورة "المرتزقة" عام 241ق.م إلى غاية الحرب البونيقية (البونية) الثالثة (148 ق.م–146ق.م) وبكثير من الاهتمام، حيث تناول جغرافيا البلاد المغاربية وأحوالها السياسية والاجتماعية.

ث– بليني الأكبر(Gaius Plinius secundus) (23 –79 م.) ومؤلفه التاريخ الطبيعي:

وضع دائرة معارف عن الطبيعة وأثرها التطبيقي على الإنسان في 37 مجلداً، لقد تحدث بليني عن ليبيا في الكثير من فقرات مؤلفه، خاصة في الكتاب الخامس والثالث عشر والتاسع عشر والثاني والعشرين،**حيث** نجد الفقرات(4-5-6-8) من الكتاب الخامس، تتحدث عن جغرافية بلاد المغرب القديم وطبيعتها وقبائلها وبعض الأحداث التاريخية التي وقعت فيها، واشتملت على معلومات عن النظم السياسية والاقتصادية والاجتماعية عند الرومان ' وقد تحدث حديث مفصل عن نبات السيلفيوم الشهير (الحنتيث) الذي نال شهرة كبيرة عند شعوب المتوسط نظرا لأهميته الطبية حتى نُعت بالذهب الأخضر، كما وضع جدولاً بقائمة مدن المغرب القديم من خلال وثائق إدارية ثمينة وقعت في يده وتجدر الإشارة هنا الى أنه يقر في كتاباته أنه نقل كثرا عن مؤلفات الملك النوميدي يوبا الثاني، إذ وصفه بلينيوس بالملك العالم.

ج– ديودوروس الصقلي(Diodorus siculus) (90ق.م–25ق.م ؟)ومؤلفه المكتبة التاريخية:

ولد بصقلية ومن أصول إغريقية،تَأَلَّف هذا العمل من أربعين كتاباً، وَصَلَنَا منها كاملة الكُتب مِن الأوّل وحتى الخامس، ومن الحادي عشر وحتى الكتاب العشرين، وما تبقى وصلتنا مجزأة، تحدث في بعض كتاباته ومنها الكتاب الثالث عن الإثيوبيين في أعالي نهر النيل، ثم مناجم الذهب في مصر وإثيوبيا، وعن البحر الأحمر والشعوب التي تعيش حوله، بل ويتحدث في كتاباته حتى المظاهر الجغرافية والطبيعية في ليبيا ، إذ كر في الفقرة (49)من كتابه الثالث عن ليبيا والقبائل الليبية،وعن الكثير من الظواهر الطبيعية،خاصة الغريبة منها، وكان يميل إلى التحدث عن الشعوب التي جعلها موضوع تاريخه عن الجوانب الطريفة والغريبة المغلفة

محاضرات الأستاذ خالد محفوظ

بالأساطير الغامضة، ولذلك تختلط عنده الحقائق بالخيال اختلاطا شديدا ولكن رغم ذلكيعتبر(ديودوروس الصقلي) كاتبا ومؤرخا وجغرافيا بامتياز.

ح– بروكوبيوس القيصرى (Procopius caesrensis) (500م –565م؟) ومؤلف العمائر والحروب:

ولد بروكوبيوس في قيصرية فلسطين في نهاية القرن الخامس الميلادي وتوفى في عام 562م وقد تحدث في كتابه العمائر عن أهم المنشآت المعمارية التي شيدت في عهد الإمبراطور(جوستنيانوس)(527–565م.) وقد أشار فى هذا الكتاب إلى بعض المنشآت التي شيدت في المدن الثلاث (لبدة أويا(طرابلس) صبراتة)، وقد تحدث في كتابه الحروب عن الحملات الحربية التي شنت في عهد الإمبراطور(جستنيان) في بلاد فارس وأوروبا وشمال إفريقيا(545–554م)، وقد أشار أيضاً في هذا الكتاب إلى حملة البيزنطين على الوندال بشمال إفريقيا، بالإضافة الى مواقف المغاربة من الوندال والبيزنطيين.

خ– فلافيوس كوريبوس (Corippus) (القرن السادس الميلادي):

هو مؤرخ أكثر منه كاتب ملاحم، تُنسب إلى (كوريبوس) ملحمتين شعريتين: الأولى حول الحرب الليبية الرومانية والتي دارت أحداثها في الفترة ما بين 546 –548 م. والثانية في مدح الإمبراطور (جوستين وس الثاني) خلال عامي 566 و 567 م. ينتسب الشاعر (كوريبوس) إلى منطقة المغرب القديم من حيث الأصل والمولد ويفهم ذلك من خلال لقبه الإفريقي ويعتبر عمله الأول الحرب الليبية الرومانية أهم مصدر تاريخي عن منطقة المغرب القديم خلال القرن السادس الميلادي وذلك لسرده وقائع تاريخية ثابتة حول الحملة البيزنطية ضد الوندال حين قرر الإمبراطور(جستنيان)(527–565م.) إعادة استعمار منطقة المغرب القديم من جديد، ورغم أن هذه الملحمة ليست كلها حقائق تاريخية بل تحتوى على الكثير من الخرافات والمبالغات إلا أنها تعتبر أهم مصدر بعد(هيرودوت) و(بروكوبيوس) حول القبائل الليبية حيث أشار(كوريبوس) من خلالها إلى خصائص هذه القبائل وعاداتها وأماكن تواجدها ووسائل حروبها وتقاليدها المعيشية والاجتماعية.

هذه عينة من مجموعة كبيرة من المصادر التي تناولت التاريخ المغاربي في العمق أو هامشيا، حيث اعتراها في الكثير من الحالات الفراغ التاريخي والغموض، بالإضافة إلى مجانبتها الحقيقة التاريخية التي لم تكن تتماشى مع إيديولوجياتهم أو السلطة، لكن الحقيقة أن الكثير من أراء هؤلاء المؤرخين ثبت عن طريق المكتشفات

محاضرات الأستاذ خالد محفوظ

الأثرية التي عثر عليها حديثاً، كالنقوش الكتابية، وبعض بقايا الإنسان خاصة البقايا الفنية كالعمارة والنحت والفخار.

محاضرات الأستاذ خالد محفوظ